معرض احتفائي بالكاتب المغربي:

في ضيافة محمد شكري

عبداللطيف البازي*

■ رحل المبدع محمد شكري منذ ثلاث سنوات لكن يبدو أنه من الصنف العصي على النسيان ويمكن القول ان غيابه الجسدي قد كرس، بشكل، أكبر، حضوره الرمزي بيننا. قوة ابداعه وانسجام نمط حياته مع قناعاته ورؤيته للوجود وجرأته جعلته يحظى باحترام الآخرين له حتى أولئك الذين يختلفون معه. وكم من الممتع والمثير أن يشاهد المرء محمد شكري الشاب الوسيم وهو يدافع بهدوء، في أول زيارة له الى باريس سنة 1980، عن أرائه وتجاربه أمام برنارد بيفو معد البرنامج الشهير «أبوستروف» وكم هو مثير اعتداد محمد شكري بنفسه أمام الصحافية والكاتبة لور أدلر وهي تحاوره في برنامجها «دوائر منتصف الليل» بعد صدور رواية «زمن الأخطاء» في ترجمة فرنسية. مثل هذه المواقف، ومواقف أخرى عديدة، جعلت من محمد شكري منذ البداية ما يشبه الأسطورة أو الظاهرة السوسيو ثقافية فنسجت حوله الكثير من الحكايات الصحيحة والمختلقة وساهم بدوره في اغناء هذه الدينامية الاستثنائية، ذلك أنه من المؤكد أن محمد شكري شخصية جذابة ومغرية وأنه، بالاضافة الى ذلك، كان يدبر وضعه الاعتباري بذكاء وبعد نظر لذا نجد كل من تعرف عليه أو اقترب منه في سياق ما يعتز ويفتخر بصداقته ويؤكد بحماس أنه قد جالسه بالمكان الفلاني أو الحانة الفلانية. ان السطوة الرمزية لمحمد شكري هي الآن أقوى وهذه السطوة تجد منبعها في الأهوال التي عاشها هذا الكاتب وفي الملذات التي لم يتردد قط في قطفها والفوز بها وفي كون كتاباته هي من النوع العابر للأزمنة والأوطان وهذا ما تبرهن عليه الترجمات العديدة التي كانت هذه الابداعات موضوعا لها.

والمعرض الاحتفائي بمحمد شكري الذي ينظمه المركز الثقافي «الأندلس» بمرتيل بتنسيق مع أسرة الراحل وبدعم كامل من طرفها والذي يمتد الى حدود 15 كانون الاول/ ديسمبر 2006 يبرز غنى وتفرد حياة مبدع «الخبز الخافي» ويبدو ذلك بوضوح في الصور العديدة ذات السحر الخاص التي التقطت له في مختلف مراحل حياته لوحده أوورفقة مبدعين وأصدقاء مغاربة وغير مغاربة (محمد برادة، خوان غويتيسولو، محمد بنيس، عبد المعطي حجازي، وفاء العمراني، محمد الأشعري، محمد عزالدين التازي، محمد الميموني، ألبرتو مورافيا، بول بولز، جان جونيه، أدونيس، عبد الوعاب البياتي، ثريا جبران، عبداللطيف بنيحيى، نوال السعداوي...). ويبرز ثراء تجربته كذلك في مكتبته الغنية والكتب المهداة اليه والرسائل التي وصلته من أصدقائه العديدين. وقد يكون من المستعجل التفكير في أنجع السبل لحفظ تراث محمد شكري، ثراث رغم تواضع قيمته المادية فهو يتمتع بقيمة رمزية كبيرة وأكيدة مهددة بالتلف والضياع ان لم يتم حفظها بمقر أو متحف يكون بمثابة «خيمة» يمكن زيارتها بين الحين والآخر كما أنها ستؤكد على أن المغاربة يقدرون الابداع ويصونون ذكرى مبدعيهم. وتحضرني الآن، على سبيل المقارنة والاستئناس، صور ثلاثة متاحف جميلة ومهيبة زرتها وشعرت بنشوة استثنائية : متحف فيديريكو غارسيا لوركا ومتحف رفائيل ألبرتي ومتحف خوسي مانويل كاباييرو بونالد.

ان محمد شكري هو أحد الكتاب العرب القلائل الذين جعلوا الكتابة شأنا عاما وجعلوا الكاتب شخصية معروفة الملامح والأهواء. والمسافة الزمنية ستعاود بالتأكيد ومن جديد اثارة شهية الباحثين والمتتبعين والقراء من الأجيال الجديدة للاقتراب من عوالم شكري وهواجسه وأحلامه وتجاربه التخومية وعوالمه الجذابة والمتفردة التي شيدها بجرأة واصرار وسجلها وكتب عنها منذ أن اتخذ قرارا بأن يتعلم الكتابة والقراءة ثم اتخذ قرارا ثانيا و"تاريخيا» بأن يصبح كاتبا. وزوار المعرض الاحتفائي المذكور تملكتهم دهشة بينة وما يشبه الرهبة وأحسوا بأنهم ضيوف لدى كاتب كبير وسخي وانسان ذي شخصية قوية كما أنهم لم يتمكنوا من مقاومة رغبة جارفة في التلصص على الأشياء الحميمة لشكري: مكتبه، أقلامه ، غليونه، حاسوبه القديم وآلته الكاتبة التي مازالت في حالة جيدة، مراسلاته وصوره وكأنهم يتساءلون : هل انتمي هذا الكاتب بالفعل الى عالمنا؟ وهل كانت له ارتباط مع عوالم أخرى قد نتبين آثارها اللحظة؟

وبقدر ما كان محمد شكري مقبلا على الحياة بقدر ما كانت علاقته مع فكرة الموت متوترة. لذا يمكننا أن نسعد قليلا ونعتبر أنه بصيغة ما قد ربح التحدي فقد ترك لنا ابداعاته وذكرياته ووجوهه المتعددة تحكي عنه وتضيء جوانب معتمة من شخصيته المتفردة.

* ناقد من المغرب

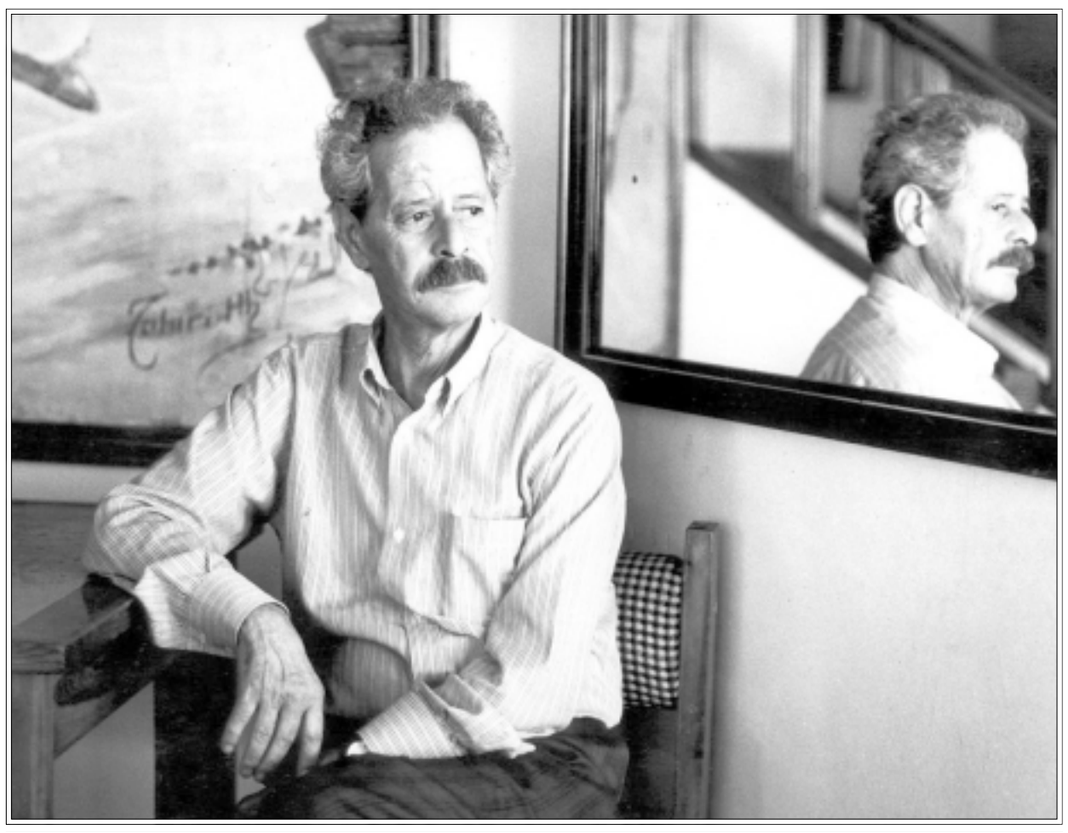

محمد شكري وخوان غويتسيلو (القدس العربي)

محمد شكري مع البياتي (القدس العربي)

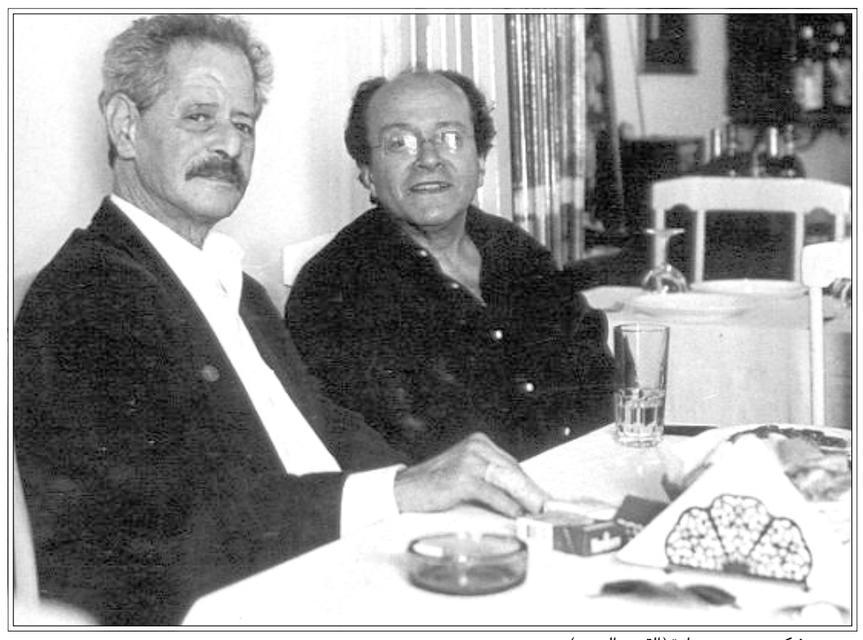

محمد شكري مع محمد برادة (القدس العربي)

تداعيات

حكايات من البر الانكليزي:

عزف منفرد تنقصه الحكمة

جمعة بوكليب*

■ لندن مدينة تحيّر ما تبقى لك من عقل،وتربك ما ترك النيكوتين في قلبك سليماً من فضاء كاف لاعتمال المشاعر، واشتجار الاحاسيس. مدينة تشتهي الغرابة، وكسر المألوف،لذلك يعشقهاالصعاليك والشعراء وكل من به مس من جنون عظيم. اذ يصادف أن تكون سائراً في طريق ما،في شارع ما، والجو كمخرز يكاد من قسوة برودته أن يثقب العظم، ومغيّم لدرجة أن يصيبك بالكآبة، يداك مدسوستان في قفاز جلدي، ويدثر جسدك معطف صوفي ثقيل، وشال صوفي ملفوف حول رقبتك اتقاءً من لسعات البرد، واذا بك تصادف شخصاً ما يسير في نفس الطريق، في اتجاه مخالف لك، لا يرتدي سوى قميص خفيف، قد لا تفكر، أنت، في ارتدائه حتى في أشد شهور الصيف اشتعالاً بالحرارة، وليس تحته سوى الجلد، فتنتاب مسامات جسمك قشعريرة من النوع الذي يجعلك تنكمش على نفسك تلقائياً، فماذا تفعل؟ هل تستوقفه بأدب للحظة، لتسأله كيف لا يحس البرد الذي تستشعره ينخر العظم منك؟ ذلك اليوم، صباحاً، بينما أنت في عربة من عربات قطار أنفاق مزدحمة بغيرك من البشر، كما هي العادة في مثل هذا الوقت من أيام الاسبوع، والجو بارد جداً، توقف القطار في محطة ما، ثم فتحت ابواب عرباته، فاندلق سيل من الراكبين الى الخارج، وعلى رصيف المحطة كان سيل آخر من البشر في انتظار الدخول الى العربة، ولأنك كنت واقفاً على حافة الباب، لمحت عيناك بدهشة، شبيهة بلسعة كهربائية، صبية في مقتبل العمر، تدخل عربة القطار وتقف، لسوء حظك أو لحسنه أمامك، وملاصقة لك، لا يغطي الجزء الأعلى من جسدها سوى قطعة ثياب خفيفة، لا تختلف كثيراً عن حمالة النهدين، سوى أنها تستطيل لتغطي البطن وما حولها، وتغطي تنورة قصيرة الجزء السفلي. وحين أفقت من الصدمة، اكتشفت أن عيون البشر الواقفين حولكما وقربكما، كلها تنظر في اتجاه الصبية، حتى عيون الاناث منهم!! تلك اللحظة أدركت أن الاستغراب والدهشة والتعجب وغيرها من الأوصاف التي تعرفها والتي لا تعرفها لا لزوم لها، ولم يكن أمامك سوى قبول الحكمة المأثورة التي تؤكد على أن لله في خلقه شؤوناً، وببساطة، غير معهودة فيك، تصل الى قناعة تامة بأن الأمر لا يخصك أو يهمك من بعيد أو قريب، والأفضل لك أن تعمل بالمثل الذي يقول: «اللي تلقاه راكب على خشبة قوله مبروك الحصان». وبدلاً من ذلك، تظاهر بانك مشغول بقراءة الاعلانات الملصقة قرب سقف العربة، واصبر على ما أبتلاك الله من فتنة كاسرة، ثم حين تصل الى محطتك المرغوبة، غادر العربة دون أن تلتفت للخلف، واشكر الله كثيراً على سلامتك كما صرت تفعل في الشهور الاخيرة، وأحمد الله أن قطارك وصل الى المحطة التي تقصدها سالماً دون أن يفجّره أحد من الأخوة الذين يسعون الى ضمان دخول الجنة بقتل أكبر عدد ممكن من خلق الله المسالمين أمثالك، وتذكر، دوماً، أن لندن مدينة تحيّر ما تبقى لك من عقل لأنها مخيفة جداً، وأن الموت يتربص بك في كل مكان منها، ولا تعرف كيف، وأين سيفاجئك، وأنك اذا نجوت هذه المرة من جهاديي هذا الزمان العطيب، فامامك فرصة لأن تموت كجيفة، صدفة، نتيجة رصاصة طائشة، لأن بعض أعضاء عصابات تهريب وبيع المخدرات قرروا تصفية حساباتهم، ولسوء حظك تواجدت في الوقت والمكان الخطأ، كما سيذكر ذلك محضر تحقيق الشرطة فيما بعد، وكما ستكرر ذلك الصحف، وغيرها من وسائل الاعلام في تقاريرها. واذا نجوت من ذلك، فثمة فرصة لأن تكون ضحية لسرقة بالاكراه، في شارع ما، وبعد أن تسلّم اللص أو اللصوص ما لديك من مال، عليك بترديد الشهادة لأن الموضة بين أصحاب هذه المهنة، في هذه الأيام هي قتل الضحية طعناً بالسكاكين ثم ركلاً بالاقدام. واذا كتب لك الله النجاة ولم تكن ضحية لعملية مثل هذه، فاعلم أن هناك أكثر من فرصة أخرى لأن تغادر هذه الدنيا الفانية بغير رغبة منك اذا أصاب حظك العطب ووقعت، مثل غيرك من الضحايا الفاذين، صدفة بين يدي أحد المصابين بالشيزوفرينيا، الذين بدل أن يقضوا حياتهم في مصحة خاصة بهم، تضطر الحكومة من حين لحين، اقتصاداً في الانفاق، الى فتح الأبواب أمامهم ليغادروا المصحة بحجة أنهم لا يشكلون خطراً على أفراد المجتمع!!!! ولأنك مؤمن بقضاء الله وقدره، مثل غيرك من المؤمنين، وتؤمن أن (ليلة قبرك ما تبات بره) تحاول اقناع نفسك، أن الحياة مخاطرة غير مأمونة العواقب، وليس من الممكن الرجوع الى الخلف،أو التريث والانتظار، وانه ما دام الأمر كذلك فمن الأجدى لك أن تمارس كينونتك غير مبال بما ليس منه بد في نهاية الأمر، لأن العيش، بمنطق نفعي وأناني، تحتّ تهديد القتل، يظل أفضل قليلاً من أن تكون جثة هامدة في لحد يقتات عليها دود الأرض. لذلك اذا أردت لبالك الراحة، عليك أن تكون مثل لندن: مدينة مفتوحة على الحياة من كل الجهات والمشارب والمسالك، تخترق مسارب التاريخ، وتذيب حدود الجغرافيا، ولم تذق للندم طعماً، وتدمن مراودة الغواية، ومراوغة الموت.

* كاتب من ليبيا يقيم في لندن

أدونيس.. وفك الالتباس بما هو مُلْبِس

محمد عبدالعال *

■ كتب أدونيس كتابه (الثابت والمتحول) في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، ولا شك أن الكتاب قد أثار مجموعة من القضايا المحورية في الثقافة العربية، وفي ندوته بمكتبة الاسكندرية التي تستضيفه لمدة عشرة أيام من خلال برنامج الباحث المقيم، ومن خلال محاضرته الأولى عرض أدونيس طرق معالجته ومبادئه في مناقشة قضايا التراث والحداثة في الثقافة العربية، وطرح في محاضرته مجموعة من القضايا التي من الممكن تداركها على كتابه (الثابت والمتحول)، ولكنه لم يتنازل أو يعدل ويناقش أفكاره بقدر ما كان يبحث عن دلائل وتحليل لما يعضد موقفه وفكره، واذا كان رأيه يجنح الى أن التجديد يقوم على أمرين: أولا: اكتشاف واعادة تشكيل اللغة الشعرية على المستويين الفني والفكري، ثانيا: انفتاح أفق جديد لأساليب التفكير وبالتالي للبحث والنقد ؛ فان ذلك كله يحتاج الى تفكيك التاريخ بوصفه مجموعة من الأحداث (السياسية والدينية والثقافية) المنتهية جزئيا، اذ أنه على الرغم من انتهائها فان أسبابها ما زالت عالقة وموجودة (حضورا وفعالية).

واذا كان القرآن نص ثقافي ـ كما أشار أدونيس ـ وليس محض نص مقدس، وعلى الرغم من ذلك، فانه لم يتم مناقشته غير دينيا، حتى ان كل محاولة للكشف عن جوانب أخرى غير الشعائر كانت غير ذات جدوى، وكانت دوما تصطدم بالطوق الذي يفرضونه على الدين، فعلى المستوى الفكري والفلسفي نجد فكرة (خلق القرآن)، وعلى المستوى اللغوي (نجد قضية الاعجاز)، ومن ثم فلم يستطع المسلمون أن يقفوا أمام هذا النص الا كمصدر للفتاوى، وككتاب فقهي وتعليمي، وليس ككتاب مصدر للالهام والفكر والابداع.

ولا جدال في أن النص القرآني نص ديني وثقافي في آن، ولكن ثمة فارق في آليات التعامل معه بين كافة المسلمين، وهذا يفرض علينا عندما نقف على النص القرآني أن نقف على علاقاته مع النصوص المقدسة الأخرى، كذلك الوقوف عليه باعتباره نصا ليس منفصلا عما قبله من ثقافات ـ وليس كما يرى أدونيس بوصفه نصا جامعا لما قبله من ثقافات ـ، لأن محض الاشارة الى ثقافات قبله لا تعني أنه كان جامعا لها، حتى وان كانت هذه الاشارات تستحضر الخطاب الثقافي، فان حضورها يبقى محدودا بسياق الاشارة وسياق النص، فهو ليس حضورا متكاملا.

أيضا الوقوف على النص القرآني بوصفه نصا متجاوز للزمنية، وكذلك الوقوف طويلا أمام تفكيك اللغة الوثنية، واعادة بنائها مرة أخرى ينطق بها وحي الهي ينقض بها تلك الوثنية، ثم تتحول الى لغة الهية.

وقد أشار أدونيس الى انتقال النص القرآني من الشفاهية الى الكتابة، فاعتبر أن وجود النص في صورة مادية قد جعل من هذا النص المرئي سلطة تمارسها المؤسسة الدينية على الأفراد المنضوين تحتها، ولكن لم يوضح أدونيس هل كان يقصد المفهوم الحديث للكتابة باعتبارها اعادة بناء للنص ومدخلا لفتح دلالته أم أن التحول هنا كان محض تحول في قناة الاتصال، وفي طريقة تلقي النص.

وفي حديثه عن كتاب (ديوان الشعر العربي) أوضح أدونيس أن الغاية التي دفعته الى وضع مختارات للشعر العربي كانت هي تجاوز كل من القديم والحديث في آن، لكتابة ما ينتمي اليه بوصفه فردا يعيش فرديته، وانتماءه اليها، والى عالمه في آن، بيد أن مفهوم الزمن الذي يدخل في مصطلحي (القديم والحديث) يبدو كمثل كرة تتدحرج في الفضاء ـ على حد تعبير ـ أدونيس ـ فلا شيء يتغير، واذا لم يتغير الزمن فكيف لنا أن نصف ما نكتبه بأنه شعر حديث، وهو ـ أي الزمن ـ النظام الذي من خلاله يتغير العالم، والحقيقة أن العالم يتغير في اطار زمني، يتغير داخل مظلة نظام الزمن، ولا يمكن بأي حال أن يكون للنظام سلطة على الفعل الواقع تحته طالما كانت الغاية هي ذلك الفعل، وليس هذا النظام، لذا فاذا كان مصدر الالتباس بين القديم والحديث لم يكن كامنا في الشكل وتغيراته، لأن هذا المبدأ سيجعل من القديم محض وثيقة وينفي عنه الابداع، لذا فان هذا المعيار مرتبط بما هو خارج الزمن وخارج الفن في آن، وهو ما وجده أدونيس في كتابات النفري التي أزالت هذا الالتباس في أن الشعر هو الشعر فلا معيار !!!، ولعلنا لا نبالغ أن اكتفاء أدونيس بهذا التعبير وهذا التوضيح قد فض الالتباس بما هو مُلْبِس. أما في حديثه عن حداثتنا التي لم تحسم صراعاتها بعد، فقد تجاهل أدونيس ما تراءى من استفسارات حول وضعية الحداثة الآن، فبعد صراعها مع ما هو ثابت في المجتمع فانها قد استطاعت الدخول نسبيا في اطار المؤسسات، وهل كان دخولها لمؤسسات النظام انتصارا لها على هذه البنى السياسية والثقافية المتخلفة، أم كان نجاحا من المؤسسة في احتواء المراوغة الدلالية للحداثة، فأخذت منها ظاهر الحداثة لتكتسب هي الأخرى ثوبا حداثيا مع جوهر متخلف، وأعطت تلك الأخيرة شرعية الوجود المؤسساتي، وما هي الضوابط التي دخلت على أساسها للمؤسسة، هل كان دخولها مبادرة منها فاستخدمت المؤسسة لتحقيق غايات التواجد، وهل محض التواجد هو جوهر الحداثة أم أن المؤسسة كانت هي المبادرة؟؟!!

لا شك أن أدونيس قد طرح في محاضرتيه ما هو جديد، وكان هذا الجديد واقعا تحت تأثير فكره حول الانسان والعالم والوجود، فكان محض تأكيد لما قاله من قبل ولكن عن طريق مجموعة من القضايا الجديدة والمحاور البحثية التي طرحها لا ليعدل ويضيف وانما ليؤكد على ما قاله من قبل.

* ناقد مصري معيد بكلية الآداب ـ جامعة المنوفية

أربع قصائد ماغوطيّة

هيثم سرحان*

قميصٌ مقدود
حبيبتي التي يغشاها الأقحوان
كلَّما ضممتها
رأتني أطوفُ بليل القصيدة ساهداً
فخلعتْ دمَ غزالاتها ودثَّرتني
حبيبتي التي يتشهَّاها الأنبياءُ
أضاءتْ قلبي بالعشق
وقدَّتْ قميصي من قُبُلٍ
وأطلقتْ فَراشَها
في فِراشي

عرَّافات بابل
وردَ في الكتب القديمة
أنَّ عرَّافات بابل قُلْنَ:
لن تهنأ بالسَّلام
أيُّ عاشقة
داست وردَ عاشقها
رغائبُ حالكة
أظليني بوهج حنينك
فروحي مشرئبَّةٌ

كأدعية اليتامى
وولولات الأرامل
لا ترتبكي مثل غزالةٍ في السَّفح
ولا تجفلي كالحمامة في الظهيرة

عبدِّي دربي
بالأماني
الجميلات
لأنك حين تُحلِّقين إلى موعدي
تهاجرُ من دمي
الرغائبُ الحالكة
صهيل
سماؤك صافيةٌ
كأحلام الأبرياء
ودفاتر الأطفال
وحده قمري
يُضيءُ في أقمصتكِ
يجرُّ عربةَ الشَّهوة
ويتركها خلف السّتائر
تنظرُ صهيلَ الظِّباء
حين يجتاح الحمامُ
سريركِ

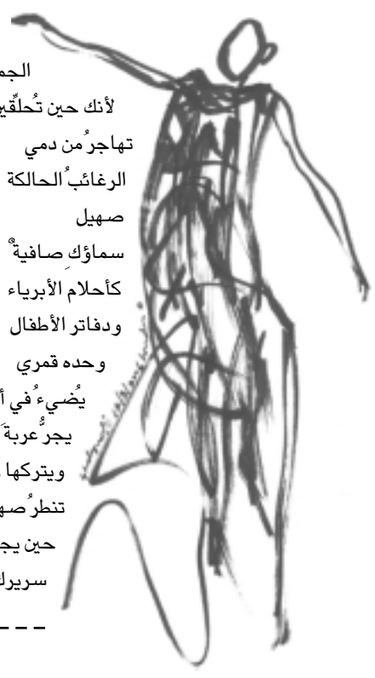

* شاعر من الاردن